صناعة الأدب بين النقد الاجتماعي والنقد الثقافي
دراسة في المنهج والنظرية

Literature industry between social criticism and cultural criticism A study in methodology and theory

د. بن أحمد نورين فؤاد [1]

تاريخ الإرسال: 2023/01/20	تاريخ القبول: 2023/03/04	تاريخ النشر: 2023/05/10

الملخص:

يعتبر الأدب في العصر الحديث أشد وقعا على الاتجاهات الثقافية والاجتماعية، فتأثيره على توجيه المجتمعات واضحة خاصة إذا حولت تلك الصناعة إلى صناعة سينمائية، وهذا واقع للكثير من الروايات والقصص فالصناعة الأدبية خاصة في الغرب لها واقعها الثقافي على توجيه المجتمع والتحكم في سيرورته، لذلك نجد اليوم الاشتغال بالنقد الأدبي له دور فعال وواضح في العملية الفنية والعلمية، لأهمية قراءة ثانية لما يكتب وينشر في العالم، فبعد ما كان النقد الاجتماعي والنقد البينوي...وغيرها من العمليات النقدية المصاحبة للإنتاج الأدبي، نجد أن النقاد اتجهوا إلى النقد الثقافي، فأردنا تتبع تطور النقد من النقد الاجتماعي إلى النقد الثقافي ومكانة الصناعة الأدبية المعاصرة في هذه العملية.

الكلمات المفتاحية: الأدب، الصناعة الأدبية، النقد، النقد الاجتماعي، النقد الثقافي.

Abstract:

Literature in the modern era have a stronger impact on cultural and social trends, so its influence on guiding societies is clear, especially if that industry is transformed into a cinematic industry, and this is a reality for many novels and stories. Engaging in literary criticism has an effective and clear role in the artistic and scientific process, due to the importance of a second reading of what is written and published in the world. Criticism from social criticism to cultural criticism and the status of the contemporary literary industry in this process.

1جامعة يحيى فارس المدية . fouadbenahmednourin@gmail.com

Key words: *literary industry, criticism, social criticism, cultural criticism.*

*** *** ***

المؤلف المرسل: د. بن أحمد نورين فؤاد fouadbenahmednourin@gmail.com

مقدمة:

يعتبر الأدب من العلوم الفنية والجمالية التي تعبر عن حياة الإنسان، عن أفراحه وأحزانه عن تقلباته المختلفة في الحياة، سواء كفرد ينتمي إلى جماعة ما، أو كمجتمع ضمن ثقافة وحضارة ما في زمن ما في مكان ما، فالأدب كان ولازال لسان حال يعبر به الأدباء والشعراء عن أحوال المجتمع، لذلك يعتبر الأدب من أهم المراجع التاريخية التي يرجع إليها الباحثين في تتبع مرحلة تاريخية معينة من حياة أمة من الأمم، فالأدب كما هو متعارف عليه الصورة المصغرة للمجتمع، فهو المرآة العاكسة له في كل تقلبات وجوده عبر الزمن.

وقد ظهرت العديد من المناهج والنظريات التي تعنى بدراسة الأدب والأدباء عبر التاريخ من النظرية الانعكاسية، إلى النظرية الثقافية والدراسات الثقافية التي انتشرت في عصرنا الحالي التي تبحث في الإنتاج الأدبي أو ما يسمى كذلك بالصناعة الأدبية كجزء لا يتجزأ من الوجود الثقافي لحضارة ما.

ومن بين هذه المناهج والنظريات نجد المنهج الاجتماعي الذي تصدر الدراسات النقدية لفترة من الزمن ومحاولة إبراز دور الوسط الاجتماعي في الصناعة الأدبية في الاتجاهين (تأثير وتأثر) من المجتمع نحو الأديب أو من الأديب نحو المجتمع (فالأديب يسعى دائما إلى التعبير عن الحياة الاجتماعية بطريقة فنية جمالية، إما محاولة لنشر ظواهر إيجابية وتعميمها في المجتمع، أو نقد لظواهر سلبية ظهرت أو طرأت على سلوك

الأفراد في المجتمع ومعالجتها حتى لا تؤثر على الاتجاه العام لثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه).

إلى جانب المنهج الاجتماعي ظهرت في العصر الحالي دراسات نقدية للأدب تسمى بالنقد الثقافي محاولة من الباحثين والعلماء التوسع أكثر في النقد الأدبي المعاصر وجلب كل العناصر الثقافية الممكنة والفاعلة في النقد الأدبي وتوظيفها في تتبع ونقد الصناعة الأدبية.

ولهذه الأسباب دفعنا الفضول العلمي للقيام بهذا البحث والذي يتناول الجانب النظري والمنهجي للنقد الأدبي المعاصر، ومحاولة المقارنة بين النقد الاجتماعي للأدب والنقد الثقافي وكيف يغذي بعضهما البعض ويدفعان بالصناعة الأدبية إلى الرقي والازدهار أكثر فأكثر خدمة للثقافة والحضارة الإنسانية.

وقد قسمنا البحث إلى قسمين أساسيين:

القسم الأول نتكلم فيه عن النقد الاجتماعي: ماهيته خصائصه أهدافه كيف انطلق وما هي مكانته التي يحظى بها في الدراسات النقدية المعاصرة.

القسم الثاني نتكلم فيه عن النقد الثقافي للأدب أهم رواده ونشأته وماهيته وخصائصه...

إلى جانب مقارنة النقد الاجتماعي بالنقد الثقافي أين يلتقيان وأين يختلفان منهجيا ونظريا.

ولأجل ذلك كله قمنا بطرح الإشكالية الآتية:

ـ ما علاقة النقد الاجتماعي بالنقد الثقافي، هل هما وجهان لعملة واحدة، أم كل منهما مجاله الخاص وكيف يساعد النقد الاجتماعي والثقافي على حد سواء للنهوض بالصناعة الأدبية التي تسعى إلى إبراز الجمال الثقافي والحضاري للإنسان؟.

ـ تهدف هذه الدراسة إلى:

إبراز أهمية الصناعة الأدبية في المجتمعات الحديثة.

دور النقد الأدبي في تطوير وإرشاد الأديب إلى معالجة الظواهر الاجتماعية الهامة والمؤثرة في سيرورة الحياة الاجتماعية.

التعامل مع ما ينتج من أدب على أنه إنتاج فني وجمالي يساعد على الانطلاق الحضاري والثقافي للأمم والمجتمعات.

التفكير أكثر في المناهج والنظريات النقدية التي تقدم الدعم للناقد والأديب على حد سواء في الصناعة الأدبية عامة.

إبراز أهمية الدراسات الثقافية الكلية، ودور النقد الثقافي في مجال الأدب وتجديد النظرية الثقافية وما يرتبط بها من مناهج.

1- صناعة الأدب:

يعبر الأدب عن مدى تأثر الأديب بما يحصل داخل المجتمع الذي ينتمي إليه، أو عن خيال مرهف بقوة جمالية وفنية لديه اكتسبها من خلال التنشئة الاجتماعية بوصفه فرد في المجتمع لذلك كان الأديب دائما المعبر البارع في رسم صورة فنية

عن المجتمع عن طريق النثر أو الشعر فالأدب كما يعرفه: ابن خلدون << ... هي الإجادة في فني المنظوم والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم، فيجمعون لذلك كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة، من شعر عالي الطبقة وسجع متساوي في الإجادة ومسائل من اللغة والنحو...قالوا الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ بكل علم طرف...>>[1].

1.1. مفهوم الأدب:

<< مفهوم الأدب كما نعرفه اليوم حديث العهد في أوروبا، إذ بدأ يتحدد في القرن الثامن عشر، ذلك أن أصل اللاتيني للفظة (littera) يدل على النصوص التي تكتب لتحفظ، أيا تكن مواضيعها، وظل هذا المعنى سائدا حتى أواخر القرن السابع عشر...كنت (فيلسوف ألماني) قبل هذه الفترة كان حاسما في تكريس هذا الفصل بين مجال الفن (ومن ضمنه الأدب) ومجال العلم... >>[2].

فالأدب وإلى وقت قريب كان يبعد عن ميادين العلوم المختلفة، مظنة من الباحثين أنه مجرد تسلية غير مجدية، متأثر بالمذهب الأفلاطوني في هذا الاتجاه، الذي كان يرى أن التراديجيا ملهاة لا طائل منها.

والأدب لا يعدوا أن يكون نصا تعبيريا ينبع من مخيال الكاتب، حيث يعرفه بيار ف . زيما تحت عنوان ما الأدب << من هذا المنظور، يعرف الأدب من حيث كونه نصا متخيلا، على أنه رد فعل تناصي على اللهجات الاجتماعية وعلى خطب وضعية اجتماعية. لسانية ...أراه غاية في الملائمة ...>>[3].

فالأدب تعبير لغوي عن أحاسيس ووقائع وتخيلات تقع للكاتب في لحظة فارقة، يعبر خلالها عن طريق الكتابة، شعرا أو نثرا.

<< إنه يشمل بالنظر إلى معناه كل ما قيد لغويا بواسطة الكتابة، ولا يخفى أنه هناك علوما أخرى تجعل من الأدب كله أو من معظمه موضوعا لها ...>>[4].

أو كما يقول هنري جيمس << إنما الأجناس الأدبية حياة الأدب نفسها أما التعرف عليها بشكل كامل والمضي حتى لبلوغ الغاية للمعنى الخاص بكل جنس والغوص في قوامها غوصا عميقا فذلك ما يعود علينا بالحقيقة والقوة >>[5].

فالصناعة الأدبية تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة التي يحدث فيها كتابته وتخيله من طرف الكاتب: << فالأعمال الأدبية في حقيقتها تستمد نوعيتها المتغيرة عبر تاريخ من مؤسسات وأنشطة للتلقي والتفسير والتقييم في ميدان التعليم والإعلام داخل أدوات الاتصال،ولا تتعلق كلمة أدب بخصائص صياغية مطلقة محايدة، بل بأشكال متعددة من العلاقات والممارسات والوظائف فالأدب ليس مساويا لنفسه على طول التاريخ ولا توجد ثوابت راسخة ومبادئ محددة للانتماء في مملكة الأدب >> (6).

وعلى العموم الأدب << فعل كلام أو حادثة نصية يبعث على ضروب محددة من الاهتمام وهو يغاير الأنواع الأخرى من أفعال الكلام كنقل المعلومات وطرح الأسئلة والبر بالوعود...>>(7).

2.1 الأدب كفن إنساني:

يعتبر الأدب تعبيرا فنيا جماليا على حالة يشعر بها الكاتب في لحظة الكتابة إما حقيقيا أو مجازيا تخيليا، فالكاتب حين يكتب يتحرى الأشياء الجمالية التي يحاكيها الأدب، من أبسط الظواهر التي يعالجها إلى أعقدها اجتماعيا وثقافيا، حيث هناك علاقة وثيقة بين الفن والصناعة الأدبية كما يذهب إليه الكثير من النقاد: << وفقا للنظرية الموضوعية للفن، من طرف الثقافة والمجتمع الذي ينتمي إليه المنتج (كاتب أو فنان) وكلاهما ينطلقان من الأفكار التي يتشبع بها الأفراد والجماعات بوصفهم جزء لا يتجزأ من المجتمع والفن << باعتباره مجالا يتم من خلاله ممارسة الخيال بشكل أكثر حرية من مجال آخر في المجتمع الحديث ...والفن هو المجال الذي يشمله المجتمع بامتياز، حيث يمكن التعبير عن نفسك بحرية واختيار الأشياء بشكل ذاتي،...>>(8).

ونجده في موقف آخر يقول << يعتقد الناس في هذه الأيام أن العلماء يعيشون من أجل توجيههم، والشعراء والموسقيين وغيرهم من أجل إضفاء البهجة عليهم...>>(9).

وفي العموم الأدب كظاهرة اجتماعية بامتياز كما يقرر ذلك علماء الاجتماع وعلى رأسهم دوركايم، يمكننا القول أن الأدب ينتج من الذات الاجتماعية في اتجاه الذات الفردية والاجتماعية في نفس الوقت.

ويبدع الكاتب من خلال خياله، في محاكاة المجتمع من خلال العملية النقدية بطريقة جمالية وفنية، يسعى من خلالها الكاتب في إعادة قراءة المجتمع بنظرة فاحصة وناقدة في نفس الوقت، باستحضار الثقافة التي تسيطر على ديمومة المجتمع الذي ينتمي إليه الكاتب أو الثقافة المقصودة من كتاباته المختلفة.

وللأدب: << كما هو معروف وظيفة تعليمية إضافية إلى وضيفته الترويحية الجمالية، غير أن الناقد الإنجليزي ماثيو آرلوند (1822-1888)، كان أول من وضع الأدب في سياقه الروحي بعيدا عن الجوانب التطبيقية له متنبئا بدور خطير شبه ديني للشعر بالذات:

سيكتشف الإنسان أكثر فأكثر أن علينا أن نلتفت إلى الشعر لتفسير الحياة وتيسيرها، بلا شعر سيبقى العلم ناقصا... إن مستقبل الشعر عظيم من خلال الشعر سيجد الجنس البشري بمرور الزمن استقرارا أضمن فأضمن إنه أفضل ما نفكر به أو نقوله عن العالم وإنه أول مكونات الحضارة البشرية >>[10].

فالكتابة (الأدب) سواء أكنت نثرا أو شعرا، رواية أو قصة يسعى الكاتب من خلالها أن يبرز صورة ولو خيالية عن المجتمع الذي يعيش فيه أو الذي يتخله من خلال مفاهيم ورموز مسبقة تحدد لديه من خلال التنشئة الاجتماعية التي خضع لها عبر حياته وانتسابه لثقافة ومجتمع ما.

ولذلك انتبه العلماء والباحثين عبر أزمنة مختلفة لضرورة تتبع ما يكتبه الكتاب والشعراء ومدى تطابقه واختلافه مع مجتمعاتهم وثقافتهم المختلفة، من الحضارة اليونانية ونقد أفلاطون للشعراء والتراجيديا اليونانية ومنعه للمسرحيين والفنانين من

اعتلاء المشهد في مدينته الفاضلة إلى عصرنا الحالي وتطور الدراسات النقدية وتنوعها وتعدد نظرياتها ومناهجها.

ومن بين هذه المناهج والنظريات نجد النقد الاجتماعي والنقد الثقافي، نحاول في هذه الورقة تقديم لهاذين المنهجين واتجاهاتهما النظرية والفنية في مجال الدراسات النقدية الأدبية والاجتماعية.

2. النقد الاجتماعي:

2. 1. ماهية النقد: يعتبر النقد صورة من صور التراكم المعرفي والتطور العلمي والاجتماعي للمجتمعات والثقافات على سواء، فهو يعطي في كل مرة الانطلاقة المتجددة للمفاهيم ويتيح للحضارات التجدد في شتى المجالات المعنوية والمادية، فالنقد على العموم في العلوم الاجتماعية هو << النقد ليس فقرة إضافية في منهجية عالم التاريخ أو عالم الأنثروبولوجيا أو عالم الاجتماع أو عالم الاقتصاد، كما أنه ليس أيضا قرارا عليه أن يتخذه حين تكتمل تحليلاته، وهو يتجلى بالأحرى كإحدى العمليات التي نبدأ بها كل نشاط بحثي كونه لا يبدأ بدونها ...>>[11].

والنقد في الدراسات الأدبية، يعتبر الغربال الذي من خلاله نقول أن هذا العمل الفني جيد أو غير ذلك، ومن خلاله كذلك نميز بين الأعمال الناجحة وغيرها من الأعمال الأقل نجاحا إذا صح التعبير، و يقد بالنقد الأدبي: << كل الدراسات التي تتولى تعريف الأدب وتصنيفه وتفسيره وتقييمه...>>[12].

ويعتبر النقد الأدبي ضاربا في أعماق التاريخ، فهو متجذر في الحضارات القديمة وإن كان غير منهجي إمبريقي، إلا أنه كان دائما حاضرا في المناظرات أو في ملاسنات بين الفلاسفة والشعراء ومن بين الذين سبقوا في النقد نجد أفلاطون وتلميذه أرسطو في الحضارة اليونانية وغيرهم من الفلاسفة والمفكرين عبر التاريخ الإنساني والحضاري للمجتمعات المختلفة، إلا أنه كان مقرونا مثله مثل باقي العلوم الإنسانية بالفلسفة، ومع

انعتاق العلوم الإنسانية من التفسيرات الفلسفية والميتافيزيقية نجده مثله مثل العلوم الأدبية واللغوية الأخرى استقر كاتجاه في البحث الأدبي على مناهج ونظريات خاصة به ومن بين هذه نجد المنهج الاجتماعي، والنقد الاجتماعي الذي يستعمل علم الاجتماع ونظرياته في التفسير والتحليل والتقييم لأعمال الأدبية فظهر ما يسمى اليوم بالنقد الاجتماعي للأدب.

2ـ 2 . النقد الاجتماعي:

يعتبر النقد الاجتماعي من بين الاتجاهات التي ظهرت مع تطور العلوم المناهج والنظريات العلمية في أوروبا، فالبحث العلمي الإمبيريقي أعطى فرصة للعلوم بمختلف أشكالها للتطور والتعدد المنهجي والنظري ومن بينها البحث الأدبي وأول من حاول تأسيس هذا الاتجاه نجد فيكو وتين وغيره من الكتاب الذين دعوا إلى ضرورة الانتباه للتأثيرات التي يتأثر بها الكتاب عند كتاباتهم المختلفة في ميادين متعددة،ودور الجنس والبيئة والتاريخ والزمن والطبيعة والثقافة على كل ما ينتج من آداب في مختلف الفنون، إلى أن جاءت مدام دي سيتال وأعطت لهذا الاتجاه أكثر أهمية من خلال كتاباتها وتظيراتها حول علاقة الأدب بالمحيط الاجتماعي الذي ينتج فيه أو من خلاله، ولعل كلامها لازال يتردد إلى اليوم عندما صرحت فيما معناه على الباحث اليوم أن ينظر إلى على ما يكتب الكاتب ولمن يكتب وأن يتجاوز طرح الأسئلة المتعلقة كيف يكتب الكاتب وطريقة كتابته النحوية والبلاغية.

فقد سعت مدام دي سيتال إلى ربط الأدب بالظواهر الاجتماعية الأخرى التي تؤثر فيه وتتأثر به في نفس الوقت خاصة من خلال كتابها الذي صدر في عام 1800 تحت عنوان ـ الأدب في علاقته بالمؤسسات الاجتماعية ـ قدمت له بقولها أنها سعت لاختبار مدى تأثير الدين والعادات والقوانين. << والتي ربطت فيه بين مفهومي الأدب والمجتمع بدراسة منهجية واحدة لأول مرة على الأقل في فرنسا كما يفهم من أسكا ربيه>>[13].

وهكذا تطورت الدراسات العلمية حول الأدب وعلاقته بالمجتمع وربطه بالنظريات الاجتماعية خاصة في فرنسا وتوضحت أكثر باعتراف على دور الكاتب << ظهرت قضية العلاقات بين الأدبي والاجتماعي بمزيد من الوضوح حين بدأ الأدب يظهر كقيمة مؤسسية كان ذلك واضحا في فرنسا منذ القرن السابع عشر مع ظهور مؤسسات جديدة كالأكاديمية الفرنسية ومع اعتراف بالكاتب كشخص اجتماعي إيجابي قادر على بلوغ مستوى الاحتراف والإبداع الأدبي،إذ ذاك ظهر التفكير في الروابط بين الأدبي والاجتماعي أغنى وأشد تحفيزا ومعقدا أكثر فأكثر>>[14].

وفي هذا الاتجاه أقرت مدام دي سيتال دور الحياة الاجتماعية في توجيه الأعمال الأدبية ودور هذه الأخير في التأثير على سيرورة الحياة الاجتماعية وفي نظرها << لا يمكن أن يفهم تاريخ أدب ما ويدرس إلا ارتباطا بالحالة الاجتماعية والأخلاقية لدى الشعب الذي أنتجه، بالتالي فإن الأدب، في نظر هذه المثقفة الاستثنائية التي أحييت صالونا سياسيا وفلسفيا نشطا جدا ...>>[15].

وهكذا تطورت الدراسات التي تتناول الأدب في علاقته بالمجتمع وتطبيق المناهج الاجتماعي والنظريات السوسيولوجية على النقد الأدبي، إلى عصرنا الحالي، وهذا لا يعني أن الأدب والدراسات المتعلقة به كالنقد مثلا أصبح جزءا من علم الاجتماع، لكن استغل النقاد النظريات الاجتماعية الحديثة والقديمة في التحليل والتفسير والتقييم للإنتاج الأدبي،وهذا عم كل الثقافات والحضارات خاصة المعاصرة.

وبالرغم من قوة المنهج الاجتماعي ودوره في النقد الأدبي إلا أننا نجد من العلماء والباحثين ينظرون إليه على أنه دخيل ولا يستحق مكانته في النقد الأدبي وهذا ما يقرره عبد المالك مرتاض في قوله << المنهج الاجتماعي بما فيه من فجاجة، في رأي الحداثيين على الأقل، وبما فزعه إلى شؤون العامة يستنطقها: لا تجدي فتيلا في تحليل الظاهرة الأدبية الراقية، ولا في استنطاق نصوصها العالية، ولا في الكشف عما في طياتها من

جمال، ولا في تقصي ما فيها من عبقرية الخيال...فأولى علم الاجتماع أن يظل مرتبطا بما حدده بنفسه لنفسه، وبما حكم به على وضعه، وهو النظر في شؤون العوام وعلاقاتهم: بعضهم ببعض، أو تصارع بعضهم مع بعض...>>[16].

الملاحظ أنه إلى الآن لزال بعض من النقاد والمشتغلين في الحقل الأدبي ملتزمين بالمذهب الماركسي الذي يسعى إلى إبعاد كل ما هو خارج النص الأدبي، وهذا ما جاءت به النظرية البينوية التي تدعو إلى إبعاد كل التأثيرات الخارجية للنص الأدبي ودراسته دراسة بينوية داخلية فقط، والمجال لا يسعنا للشرح المفصل لهذه النظرية أو حتى النظرية البينوية التكوينية التي انطلق منها لوسيان جولدمان في تحليله الاجتماعي للرواية وغيرها من الدراسات النقدية .

وبما أن الاتجاه العام في الدراسات الإنسانية الحديثة والمعاصرة تجنح أكثر إلى تطبيق الاتجاه الثقافي فقد تأثر بها النقد في نفس الوقت وأخذ نفس المنحى وأصبح يميل أكثر إلى النقد الثقافي في العملية النقدية دون إهمال للنقد الاجتماعي بوصفه جزء لا يتجزأ من النقد الثقافي.

3 . النقد الثقافي:

1.3 . مفهوم النقد الثقافي:

منذ السبعينيات من القرن الماضي والعلماء يتجهون أكثر فأكثر إلى الاهتمام بالدراسات الثقافية وما يرتبط بها خاصة بعد كتابة إليوت لكاتبه المشهور (ملاحظات حول الثقافة)، وبعد تقهقر نوعا ما الدراسات الماركسية وما تبعها من اتجاهات نظرية مختلفة في عالم البحث العلمي، خاصة بعد الدراسات الحداثية وما بعد الحداثية، جاءت الدراسات الثقافية كنوع من الدراسات التي تستدعي المفاهيم الكلية في التحليل

والتفسير والتقييم لكل مجالات المعرفة، ومن بين هذه المجالات نجد النقد الثقافي، أو الدراسات الثقافية المتعلقة بالإنتاج الأدبي.

فالنقد الثقافي في عمومه نشاط علمي ومعرفي، يلجأ إليه العديد من الباحثين في مجالات متعدد ومختلفة، فهو إلى الآن لا يعتبر منهج خاص أو اتجاه نظري معين على الأقل عند أغلب المشتغلين في البحوث الثقافية، فهو: << نشاطا وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته، كما أفسر الأشياء بمعنى أن نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات المتضمنة في هذا الكتاب في تراكيب وتباديل . على الفنون الراقية والثقافة الشعبية والحياة اليومية وعلى الحشد من الموضوعات المرتبطة، فإن النقد الثقافي . كما أعتقد هو مهمة متداخلة، مترابطة متجاوزة متعددة، كما أن نقاد الثقافة يأتون إلى مجالات مختلفة ويستخدمون أفكارا ومفاهيم متنوعة وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد، وأيضا التفسير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي ...>>[17].

فالعملية النقدية كما هو ملاحظ صعبة بالأساس في مسارها المنهجي والنظري، فإذا اقترنت بالدراسات الثقافية كانت درجة صعوبتها أكثر فأكثر، لذلك على المشتغل بالنقد الثقافي أن يكون ملما بالعديد من المناهج والنظريات في العلوم الإنسانية بمختلف تخصصاتها واتجاهاتها، تشبه إلى حد بعيد الصعوبات والشروط التي كان يحتاجها الباحث في الانتساب إلى الدراسات المقارنة، فالمفاهيم والآليات الثقافية المختلفة تجعل من مثل هذه الدراسات بالصعبة والمستعصية على كثير من المشتغلين في حقل النقد الأدبي، <<إن إحدى أهم المشاكل التي تواجه النقد الثقافي هي أن المصطلحات المستخدمة في النقد، والتحليل والتفسير أصبحت على قدر كبير من الصعوبة التقنية العالية إلى درجة أن في كثير من الحالات تكون شديدة الإبهام ...إلى

درجة قد يصفها الإنسان العادي بالرطانة (اللغة غير المفهومة) حيث تكون صعبة الفهم>>[18].

على كل فالنقد الثقافي لا يتجاوز النظريات والمدارس الأدبية المعروفة كمدرسة فرانكفورت أو مدرسة شيكاغو أو الشكلانية أو البنيوية أغو غريها من المدارس والمذاهب الأدبية المشهورة وإنما يتوج أعملاه من خلال هذه المدارس وانتماءات النقاد لها << إن نقاد النقد الثقافي، لا ينقدون بلا وجهة نظر، فإن ثمة علاقة لهم بجماعات أو اتجاهات مثل الاتجاه النسوي، أو الماركسي،أو الفرويدي، أو اليونجي jungians أو المحافظ، أو الشواذ أو السحاقية، أو الاتجاه الفوضوي أو الراديكالي، أو يرتبط بعلم العلامات أو المذهب الاجتماعي أو الأنثروبولوجي، أو يرتبط بمزيج من كل ما سبق ولذلك فإن النقد الثقافي يتأسس دائما على منظور ما، يرى من خلاله الناقد أشياء...>>[19].

فالنقد الثقافي كما هو واضح متعدد الاتجاهات والنظريات، وهذا التعدد راجع أساسا لارتباطه بالمفاهيم المتعلقة بالثقافة،فمفهوم الثقافة في حد ذاته متعدد ومتنوع الأوجه أو كما يعرفها تايلور وهو أول تعريف لمفهوم الثقافة << هذا الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع >>[20].

فالثقافة متعددة التركيب كمفهوم، وهي كل مناحي الحياة الإنسانية متطورة كانت أو غير ذلك، فكل أمة من الأمم وكل مجتمع من المجتمعات له ثقافته الخاصة متميزة عن غيرها من الثقافات الأخرى في الشكل والوجود والمعنى والمآل، لذلك نجد أن النقد الثقافي متعدد ومتنوع وإلى الآن غير مستقر نظريا ومنهجيا إذا صح التعبير للسبب نفسه في تعريف وتحديد 3 . 3 . 2 مفهوم الثقافة.

ويمكن تقسيم الثقافة إلى قسمين عندما نتكلم على الأدب، فهناك الثقافة الشعبية والمتمثلة في هذه الحالة بالأدب الشعبي وما يرتبط به من حكم وأمثلة وأسطورة وغيرها

وهناك الثقافة العليا أو ثقافة الصفوة والتي يمثلها الآداب الرفيعة والجدول التالي يمثل بعض التفصيل لذلك التقسيم.

. جدول يمثل الفروق المدركة بين الثقافتين الشعبية وثقافة الصفوة:[21].

الثقافة الشعبية	ثقافة الصفوة
قصص عاطفية	قصص كلاسيكية
موسيقى الروك أند رول	سيمفونيات وأوبرا
الكوميديا الموسيقية	أوبرا
كوميديا الموقف	كوميديا كلاسيكية(مثل الليلة الثانية عشر وفوليان)
رسومات إباحية كوميدية	اللوحات الزيتية

الملاحظ من الجدول وغيره من الكتابات التي تحدد الثقافة وتقسمها إلى ثقافة شعبية جماهيرية، وثقافة رسمية عليا، هم نفسهم أصحاب المذهب الماركسي أو المتأثرون به ولو من باب المجارات اللإيدويولوجية،حيث أن الماركسية تقسم المجتمع إلى طبقة عليا وهي الطبقة السياسية والمثقفة، وطبقة سفلى وهي الطبقة العمال والجماهيرية، في حين أننا إذا جئنا للواقع نجد العكس، في أغلب الأحيان فالطبقة السفلى أو الدنيا تتمتع بالأوبرا والقصص الكلاسيكية والرومانسية البريئة مثلها مثل الطبقة العليا المثقفة، فهذا التقسيم الذي جاءت به الماركسية وهي الطبقية الاجتماعية، لا يكاد يظهر في هذا الجانب في المجتمعات الحديثة والمعاصرة.

أو كما يقول آرثر في هذا المجال << فحتى أولئك الذين يحبون الفنون الرفيعة قد يكون لدهم ذوق وتذوق تجاه الثقافة الشعبية والجماهيرية ؛ وهناك عديد من الأفراد يذهبون إلى دار الأوبرا للاستماع إلى السيمفونيات ليلة الجمعة بينما قد يستمتعون أيضا بمشاهدة مباريات كرة القدم ظهيرة يوم السبت، أو أن الشخص الذي يقرأ

قصصا جادة أثناء النهار فقد يرغب في مشاهدة عروض كوميدية الموقف أو المغامرات أو ما يشبه ذلك أثناء فترة المساء ...>>[22].

ومن هذا المنطلق التداخلي للثقافة الشعبية والثقافة الرسمية أو الثقافة الممتازة وهما وجهان لمفهوم الثقافة، لا ينفصلان ولا يتعاكسان بل مكملان لبعضهما البعض لذلك فالمهتمين بالدراسات الثقافية، لا يلحون على الاختلافات في التسمية ولا في المنشأ فالبحوث العلمية في هذا الاتجاه << دمجت دراسة الثقافة الشعبية والجماهيرية مع دراسة الثقافة الممتازة وهو ما أدى إلى نوع جديد من المعرفة الكبرى والدراسات الثقافية ...(وفي السنوات الأخيرة ظهر نوع جديد من الدراسات كفرع مستقل من المعرفة ألا وهو علم الاتصالات) حيث يدرس العلماء أية سمات للثقافة سواء كانت ثقافة عليا أم دنيا، شعبية أو غير شعبية حيث وجدوا أن هذه الدراسة شيقة، فالجميع يرغب (كما أوضح جيمي دورنات) في المشاركة في هذا الحدث ومن منظور الدراسات الثقافية سنجد أن جميع الثقافات تستحق التحليل والتفسير ولم تعد الفروق التي استخدمت للتفريق بين الفنون الراقية والفنون الشعبية مفيدة أو صالحة للاستخدام...>>[23].

فالدراسات الثقافية التي تعد المورد الأساسي للنقد الثقافي، يجدد مرة أخرى وفي كل مرة أن يخاطب المجتمع والأفراد على حد سواء وبنفس الخطاب دون تمييز طبقي أو اتجاه مزدوج، لأن الكل يساهم في صناعة الثقافة والكل يتفاعل معها عن طريق التأثير والتأثر بنفس المسافة وبنفس القدر، فقط هناك قدر من الظروف تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة، لكنهم سواء إذا توافرت لهم نفس الظروف والمعطيات في كل مرة.

فالأدب الرسمي أو الأدب الشعبي والجماهيري هو كل حال وجه للمجتمع أو المرآة التي تعكس المجتمع أو هو تعبير عن الثقافة المنتشرة في مجتمع ما وزمن ما وبيئة ما، لذلك كان النقد الثقافي شاملا ومتعددا فهو يستعمل كل الوسائل البحثية والنظرية

والمنهجية التي تستعملها الدراسات في العلوم الإنسانية أو كما يقول الغذامي << ...وهذا ليس تغييرا في مادة البحث فحسب ولكنه أيضا تغير في منهج التحليل، يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسيولوجيا والتاريخ السياسة والمؤسساتية من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي والنقدي >>[24].

فالملاحظ أن صعوبة النقد الثقافي تكمن في تتبعه للكليات التي تنتجها الثقافة، وتجزيئها مرة أخرى وربطها مع اتجاهاتها المختلفة، بشرط التقيد بالثقافة المسيطرة على المجتمع والتي يخضع لها الأفراد (فنانين إعلاميين كتاب روائيين موسيقيين...) فالنقد الثقافي وحدة كلية تسعى لفهم الصناعة الأدبية بتفعيل كل الإمكانات النظرية والمنهجية التي تتيحها العلوم الإنسانية وحتى العلوم التقنية والتكنولوجية خاصة في أمريكا الشمالية التي تتطور فيها الدراسات الثقافية والبين ثقافية وخيرها من الدراسات في هذا الاتجاه الذي يرغب الكل في المشاركة فيها.

خاتمة:

الأدب هو الصورة المصغرة عن المجتمع الذي أنتج فيه، فهو دائما تعبيرا لغويا متوازنا يريد من خلاله الأديب التعبير عن أحاسيسه ومشاعره ورؤيته لحال المجتمع والظواهر السائدة فيه، سواء حقيقية كانت أو خيالية، ويقوم النقد الأدبي تتبعها بالتحليل والتفسير وحتى التقييم، فيشتغل النقد الأدبي هنا بكل اتجاهاته ونظرياته ومناهجه المختلفة، ومن بينها المنهج الاجتماعي والمنهج النفسي، والمنهج البينوي والبينوي التكويني وغيرها من المناهج والنظريات التي يستعملها الناقد في العملية النقدية للأدب؛ والملاحظ أن من أقدم المناهج النقدية نجد المنهج الاجتماعي الذي تتطور عبر مراحل تاريخية طويلة وضاربة في عمق التاريخ، والذي يستدعي النظريات الاجتماعية في النقد الأدبي بصفة مباشرة ومرجعه في ذلك أن الأدب صناعة اجتماعية قبل أن يكون تعبير لغوي، فحتى نفه أكثر الأدب والأديب على حد سواء والقارئ في اتجاه ثان، يجب أن نفهم الظواهر التي يصفها ويكتب عنها من الناحية الاجتماعية ولأجل ذلك يجب أن نستدعي علم الاجتماع للفهم أكثر والتحليل الأعمق وهذا ما أكده من اشتغلوا على

المنهج الاجتماعي في النقد الأدبي من فيكو ومدام دي سيتال وتين إلى وقتنا الحاضر. ومن نظرية المحاكاة إلى النظرية الثقافية تطورت الدراسات الثقافية والبعد الثقافي للفن والأدب، وأصبحت أكثر قبولا وحضورا لدى المتتبع للدراسات الثقافية وما تعلق بها خاصة في أمريكا الشمالية، يحاول النقد الثقافي أكثر فأكثر للوصول إلى أعلى الدراجات التنظيرية والمنهجية في الأعمال النقدية الحديثة والمعاصرة، بالرغم أنه غير محدد بنظريات ومناهج خاصة به إلا أنه يستدعي في دراساته وأعماله البحثية كل النظريات والمناهج المستعملة في العلوم الإنسانية وعلى رأسها علم الاجتماع والتاريخ والعلوم السياسية والاتصال وعلوم التكنولوجيا.

وتلعب الدراسات الثقافية دور الجالب إن صح التعبير للمفاهيم التي يستدعيها النقد الثقافي من كل العلوم السابقة الذكر.

وفي الأخير تعتبر الصناعة الأدبية من أهم الانتاجات التي ينتجها المجتمع(الأديب والعمل الأدبي، القارئ، الناشر، الموزع، البائع كل هؤلاء) يتأثرون ويؤثرون في العملية الثقافية، وبالتالي نستطيع القول أن النقد الثقافي هو امتداد للنقد الاجتماعي دون التخلي عن هذا الأخير لما له من دور فعال في فهم الظاهرة الأدبية كما يجب فهما أو: ما أرادها الكاتب عند كتابته لتلك المقطوعة الأدبية، والنقد الثقافي هو صورة مكتملة للنقد الأدبي المتعدد.

** *** ***

الهوامش:

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة،المؤسسة الوطنية للكتاب،الطبعة الأولى، الجزء الثاني، 1984، ص:721.

[2] بيار ماشيري، بما يفكر الأدب؟ تطبيقات في الفلسفة الأدبية،ترجمة: جوزيف شريم، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة،بيروت، 2009،ص:12.

[3] بيار ف .زيما، النص والمجتمع، آفاق علم الاجتماع النقد، ترجمة: أنطوان أبو زيد، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2013،ص:53.

[4] فولفغان كايزر، مدخل إلى علم الأدب العمل الفني اللغوي، ترجمة أبو العيد دودو،الطبعة الأولى، دار الحكمة، الجزائر،2000،ص:22.

[5] سفيتان تودوروف، مفهوم الأدب ودراسات أخرى، ترجمة عبود كاسوحة،منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا، 2002،ص:03.

[6] بيير بورديو، قواعد الفن، ترجمة إبراهيم فتحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013،ص:10.

[7] جونثان كالر، النظرية الأدبية، ترجمة: رشاد عبد القادر،منشورات وزارة الثقافة، سوريان 2004،ص:36.

[8] ريتشارد سويدبرج، فن النظرية الاجتماعية، ترجمة: خالد عبد الفتاح عبد الله وآخرون، مكتبة أنجلو المصرية القاهرة،2014،ص: 230.

[9] نفسه، ص: 231.

[10] مجيد الماشطة، أمجد كاظم الركابي، مدارس النقد الأدبي الغربي الحديث، الطبعة الأولى، الدار المنهجية للنش والتوزيع، عمان الأردن، 2016،ص:15.

[11] باسكال هآغ وآخرون، دراسة العلوم الإنسانية النقد. ، ترجمة: نجيب غزاوي، الطبعة الأولى، دار الفرابي، بيروت ص: 13.

[12] مجيد الماشطة، أمجد كاظم الركابي، مدارس النقد الأدبي الغربي الحديث، مرجع سابق، ص: 11.

[13] عبد الله العرفج، علم الاجتماع الأدب،كتاب المجلة العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1441هـ، ص:31.

[14] بول آرون وألان فيلا،سوسيولوجيا الأدب، ترجمة: محمد علي مقلد،الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد،2013، ص: 15.

[15] نفسه، ص:23.

[16] عبد المالك مرتاض، السبع المعلقات تحليل انتروبلوجي/ سيميائي لشعرية النصوص،دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2012،ص:07.

[17] أرثر أيزابرجر، النقد الثقافي، ترجمة: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويس، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، الجيزة، مصر، 2003، ص: 30.

[18] نفسه، ص: 31.

[19] نفسه، ص: 38.

[20] دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: منير السعيداني،الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة،بيروت، 2007، ص:31.

[21] أرثر أيزابرجر، النقد الثقافي ،مرجع سابق، ص: 194.

[22] نفسه، ص: 194.

[23] نفسه، ص: 195.

[24] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2005، ص:31.